«الدرس الخامس»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:113]

إنَّ الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لِه، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحَدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ،

أما بعد:

فهذه آية فيها تتمة لأحكام الجهاد والقتال وفيها زيادة على وجوب التفقه في الدين على كل الأحوال.

فالتفقه في الدين هو في الحقيقة آلة الجهاد، ويتسلح صاحبه بالحجة والبرهان، والحجة والبرهان عليها مدار الدعوة إلى الإيمان، وبالحجة والبرهان يقوم الدين.

فالسلاح والقتال إنما هو سياج لحفظ دين الله سبحانه فإن تركنا وشأننا فإننا نبث ديننا معتمدين على كتاب ربنا وسنة نبينا صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإسلام كما ذكرت لكم أكثر من مرة يفوز بالسلم أكثر من فوزه بالحرب، فأكبر مجتمع للمسلمين اليوم بلاد إندونيسيا.

أكبر عدد فيها من المسلمين، ودخلوا الإسلام بالأخلاق بأخلاق تجارنا الذين كانوا يدعون إلى الله عَزَّوَجَلَّ مع الأخلاق مع الإنصاف ما أجمل أن

تكون ذا خلق وذا دعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المتأمل في الآيات، وسنعمل ترتيبها بعد قليل فيها بيان أن الجهاد الأصل فيه أنه فرض الكفاية، وليس على كل واحد.

وكذلك التعليم، والتفرغ للتعليم ونشر دين الله عَزَّ وَجَلَّ الأصل فيه أنه على الكفاية.

أما المشاركة في الجهاد قد يتعين ذلك في جهاد دفع مثلا، وكذلك الفقه في الدين فقد يتعين. فالواجب على كل مسلم أن يحصل شيئا يحسن باطنه، ويذرأ الشبه عنه، وأن يصلح حاله، وكذلك أن يصلح ظاهره، وهذا يشمل الذكور والإناث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فيما صح عنه «**خصلتان لا تجتمعان في منافق، حسن سمت وفقه في الدين**» حسن سمت شيء ينعكس من الباطل وامتلائه بتقوى الله على الظاهر، وقد قالوا قديما من لا ينفعك لَحْظُه لا ينفعك وعظه، والسمت الحسن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. فيجب على كل مسلم وجوبا عينيا أن يكون ذا سمت حسن.

ما هو السمت الحسن؟ شيء في باطنك ينعكس على ظاهرك.

صاحب البصيرة إن رآك علم أنك تتق الله، كما أنك تميز الناس بالسِمَة، أنا الآن أراكم، وأنظر إلى وجوهكم الغراء الطيبة، طلبة العلم لا أستطيع أقول فلان إندونيسي فلان فلبيني، وممكن أقول فلان أوروبي فلان أمريكي أعرفكم من السمة، وكذلك المؤمن صاحب البصيرة يعرف الناس من السمت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول «**خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت، وفقه في الدين**» فقه في الدين، ما يصلح به ظاهرك وباطنك، هنالك قسم لابد أن تتسلح فيه على وجه التعيين. صاحب المال يحتاج أن يعلم أحكام الزكاة، والذي يذهب للحج يجب عليه أن يعلم أحكام الحج.

كل مسلم يجب أن يكون الله تَعَالَى ورسوله أحب إليه مما سواهما، أن يقدم حب الله، وحب نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كل الناس، أن يعرف ربه أولا بأسمائه وصفاته ثم أن يعرف نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يقدم أمره على كل أمر، كذلك أحكام الطهارة وأحكام الصلاة، المرأة يجب عليها أن تعلم أحكام الحيض وأحكام الاستحاضة وأحكام اللباس الشرعي وما شابه، وما يصلح الظاهر والباطن هذا واجب عيني على كل مسلم، ومن لم يقم به فهو آثم.

أما العلم في الدين والتفقه فيه، فهذا مُعَبَّر عنه في الآية ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ فإذا الأصل في الجهاد، والتفقه في الدين أن يكونا توأمين شقيقين، وهذا يجعلنا نتكلم عن أصل مهم نرى في ميدان الذي نراه في العمل إلى الله جَلَّ فِي عُلَاه في الدعوة إلى الله نرى أن العلاقة بين العاملين التناقض والتآكل، وهذا بسبب -والعياذ بالله- الأحزاب، والتحزب إلى آخره.

أما الأصل في الشرع في العلاقة بين العاملين أن تكون التكامل لا التآكل. تكون العلاقة فيها تكامل كالعلاقة المذكورة في الآيات بين المجاهدين وبين العلماء المتفقهين في الدين فإنهم يتناوبون في تعليم أحكام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالآية أصل في وجوب العلم، وأصل في قرن العلم مع الجهاد.

فالمؤمنون نافرون للجهاد أو قاعدون للتفقه في الدين. المؤمن، وكما قلت لكم من كلام الإمام ابن القيم فمن لم يكن أهل هاتين الفرقتين أو ردءا لهما فهو كَلٌّ (عبء) نوع بني الإنسان.

الأصل في الإنسان إما أن يكون مجاهدا ذابا عن أرض المسلمين والمسلمات وأعراضهم عاملا لرفع كلمة الله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، أو جالسا متعلما أو معلما.

هذا هو الأصل، الخير والآية جمعت بين الأمرين.

نتأمل الآيات والكلمات الدقيقة في هذه الآية قال الله تَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ النفور: الخروج إلى الغزو، والأصل في النفر الانزعاج عن الشيء والانزعاج إلى الشيء. كالفزع عن الشيء والفزع إلى الشيء، وأصل النفر يدل على تجاف وتباعد وتنافر.

هذا هو الأصل في النفر فالمؤمن لا يعرف هدوءا ودَعَة، واستقرارا إلا في أوقات. أما الأصل في هذه الحياة أنها ليست هكذا ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ الفرقة في العربية ثلاثة أشخاص، أقل شيء ثلاثة تسمى فرقة.

تأمل الآيات جيدا، والآيات سلاح ماض مهم في تقرير حقائق علمية دقيقة ومهمة. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ من كل ثلاث منهم طائفة. طائفة واحد ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الطائفة الواحد أو الاثنان. فتطلق الطائفة على الواحد.

﴿لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ كل ثلاث ينفر واحد، اثنان، وإن نفر اثنان يبقى واحد يبقى واحد، وهذا الواحد يقرر أحكام الله، ويعلم الناس ولا سيما المجاهدين لما يعودون.

فالمجاهد الذي غاب في وقت التنزيل يكون قد أنزل الله شيئا أو قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكما فيعلمهم أحكام التنزيل.

إذن يأخذون العلم من كم؟ من واحد، ولذا قال الإمام الشافعي في كتابه الرسالة، وردد كلامه وطوله وأصله ابن حزم في الإحكام ثم وجدته أخيرا في انتقاضات على العقيدة الحموية انتقاض الاعتراضات على الفتوى الحموية قطعة يسيرة طبعت منه وجدته قد أفاض أيضا في المسألة، وهي مسألة أن خبر الواحد حجة.

عرفتم كيف يكون خبر الواحد حجة؟ من الآية فقال ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ من كل ثلاثة طائفة، واحد أو اثنين، يبقى واحد أو اثنين متعلمين، هل الواحد أو الاثنان يدخل في حد التواتر؟ لا. قولا واحدا. يعني رواية واحد عن واحد في علم الحديث يسمى حديث غريب. رواية اثنين عن اثنين أو ثلاثة عن ثلاثة هذا يسمى في علم الحديث حديث مشهور، -كإسمي- الحديث المشهور أن يروي اثنان أو ثلاثة عن مثلهم من مبتدأ السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قادحة فيه.

فهذا ليس متواتر. فأقل ما قيل في الأربعة، يعني بشهادة الأربع يهدر الدم.

الجرائم والقتل لا نقبل إلا شهادة أربع فقالوا الأربع هو أقل التواتر.

فواحد تؤخذ منه الأحكام، فواحد تؤخذ منه العقائد. فهذا أصل من أصول الاستدلال بحديث الآحاد.

حديث الآحاد الآية دلت على أن الآحاد حجة، وهل كل الدين إلا واحد، عن واحد، عن واحد؟ الدين كله عن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبريل عن الله رب العالمين.

الدين كله.

الدين يعود الإسناد إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجبريل أنزل الوحي عليه، وأنزله من الله رب العالمين. فالدين واحد عن واحد عن واحد.

جاءني مرة واحد من حزب التحرير قلت أنا أريد أن أناقشك في حجية خبر الواحد، ومشكلة خبر الواحد كثير من ممن يتكلم عن خبر واحد يتكلمون عن رسوم، ولا يفقهون حقيقة الأشياء.

قلت تناقشني في خبر الآحاد؟ وهل ديننا كله إلا واحد عن واحد عن واحد؟ قال: لا. لابد أن يكون في تواتر. قلت أنا أسألك لو كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي مع أبي هريرة وحده فأخبره خبرا بالعامية فهل أبو هريرة يأخذ العقيدة من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحد ولا يحتاج إلى سبعين محمد؟ سكت.. سكت قلت انتظر جوابا؟ قال لا لا يأخذ. قلت هذا ردة، هذا خروج من الملة.

هذا الكلام ردة خروج من الملة من أبو هريرة يصدق محمدا إذا كان في هناك سبعين محمد أو خمسين أو أربعة فأكثر، وأما إن كان واحد لا يصدق؟ هذا الكلام ردة.

قال علمني. قلت له أنا أصلا لست بصدد التعليم. من قال بقولك؟ قال ابن حزم. وكنت -سبحان الله- في ذاك الوقت اشتغل على الإحكام قلت أين قرأت؟ قال في خبر كتاب طويل الإحكام عن خبر الواحد. قلت وقال أنا خبر واحد ليس بحجة؟ قد قرأت هذا في كتابه الإحكام. فذهبت للمكتبة أتيت بالإحكام، أنا أعرف المكان، وقد علقت عليه. قرأت له قال قال ابن حزم قال بعض النوكَى من المعتزلة بأن خبر الواحد لا يؤخذ به في الأحكام، وهذا قول ضلال، والرد عليه من وجوه. قلت هذا كلام ابن حزم. يجعل من يقول بأن الخبر الواحد لا يؤخذ به في الأحكام نَوكَى.. حمقى، أناس حمقى. هذا خبر الواحد. قال ابن حزم يقول عن أخبار الآحاد يؤخذ بها في الأحكام، وليس في الأخبار في الأحكام وليست العقائد. قلت أنت تقول هو يقول لا يأخذ بالأحكام.

وأنا أزيدكم وأذكر لكم ثلاث قنابل، ثلاث صواريخ من أقوى الصواريخ التي توجه إلى مسألة خبر واحد بالعقيدة، الذين يزعمون أن الخبر الواحد لا يؤخذ به في العقيدة.

احفظ هذه الأشياء الثلاثة احفظها ورددها حتى تفهم المسألة فهما جيدا.

نعامل أن العقيدة لا تؤخذ بخبر الآحاد فنقول أنا أريد دليل قطعي على أن العقيدة التي لا تؤخذ من خبر الآحاد. أريد أن أعامل العقيدة ومصادرها بهذه القاعدة.

إيتني بدليل متواتر ليس بعقلي، دليل نقلي متواتر أن الآحاد لا تؤخذ به في العقيدة. أريد أن أدفن الشر قبل أن يولد، وأريد أن أعامل هذه القاعدة التي أنت تذكرها، وهي من العقيدة أعاملها بهذه القاعدة ما لم تأتني بدليل قطعي على صحة هذه القاعدة هذا فأنا الآن لا أقبلها.

الله يقول ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيه﴾ [الحاقة:20] والظن في موقع اليقين، العبرة بالاصطلاحات.

القنبلة الثانية، وهي مهمة.. العقيدة لا تؤخذ بالآحاد؟ قال نعم العقيدة لا تؤخذ بالآحاد.

قلت هات لي كتابا واحدا أُلِّفَ في العقيدة من أول ظهور التصانيف إلى الآن لا يوجد فيه إلا آية وحديث متواتر. كل كتب العقيدة قاطبة فيها أحاديث آحاد، وأنت تقول العقيدة لا تؤخذ بالآحاد! تعرفون كتابا؟ أنا لا أعرف، وهو لا يعرف أيضا.

هذه قنبلة، لو كان العقيدة لا تؤخذ بالآحاد لازم هذا أنها عقيدة المسلمين للآن مضطربة، وللآن غير معروفة العقيدة، وهذا خطير جدا دعوة فاسدة وتحتها دخان وتحتها من الضلال ما الله به عليم. القنبلة الثالثة وهي الأقوى، قلت له -تنزلا- العقيدة لا تؤخذ إلا بالمتواتر، لا تؤخذ بالآحاد. أعطني حديثا متواترا.. أذكر لي حديثا متواترا. تعرفون حديثا متواترا؟

أذكر لي حديثا متواترا؟

«من كذب علي متعمدا» طيب أخي أبو محمد كيف عرفت أن **«من كذب علي متعمدا»** حديث متواتر؟ هل عندك من الطرق التي هي عديدة وكثيرة كان يقول علي بن المديني كان يقول لطالب علم الحديث إذا بدأ بجمع طرق **«من كذب علي متعمدا لا يفلح»** حديث **«من كذب علي متعمدا»** الحديث الوحيد الذي رواه العشرة المبشرين بالجنة، والإمام الطبراني له جزء مطبوع في **«من كذب علي متعمدا»** مطبوع أكثر من طبعة، وحققه أخونا الشيخ علي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وحققه غيره أيضا.

الشاهد حديث **«من كذب علي متعمدا»** كلنا لا يوجد عندنا أسانيد، نحن قرأنا في فتح الباري مثلا أو في كتب المصطلح فقال واحد منهم هذا حديث متواتر، ونحن الآن نقول الآحاد لا يؤخذ به، فعلمنا التواتر من طريق الآحاد، الأحاديث المتواترة مصنف فيها كتب كثيرة صنف فيها مثلا الزبيدي زر الأزهار المتناثرة، الكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر صنف جمع في الأحاديث المتواترة.

لكن لما نقول هذا قرأت في الكتاب هذا متواتر قلت متواتر، لكن كيف عرفت تواتره؟ بالآحاد. انقطع عصر الرواية، فإذا قلنا أن العقيدة لا تؤخذ بالآحاد فمن باب أولى لما يقول لي قائل أن هذا متواتر، وكان أصل مأخذه بآحاد أن لا نأخذه، ومعنى هذا أن الأحاديث النبوية لا تؤخذ أبدا من حديث. لكن العقيدة لا تؤخذ إلا بالقرآن لا تؤخذ من الأحاديث. فرجعنا إلى القرآنيين، والقرآنيون فرقة ضالة ظهرت في الهند وسبب ظهور الفرق الكثيرة في الهند خاصة، أولا بريطانيا أوجدت كثيرا من الفرق البهائية والبريولية، وأوجدت فرقا ضالة كثيرة.

والسبب الآخر الجهل بالعربية. عمرو بن عبيد كان رأسا في الاعتزال ناقش الإمام الحسن البصري، وذكر هذا الإمام البخاري في التاريخ الكبير فقال الحسن كلمة عليها نور قال الحسن لعمرو بن عبيد قال له من العُجمَة أوتيت، سبب استدلالك العُجمَة.

وتقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اَللَّه فصل كثيرا قال القرآنيين في الهند وقد عاش، وأنشأ جيلا وعلمهم العربية وكان له ثمرة حسنة ما زالت باقية في تعليم أهل الهند العربية.

قال الفرق الضالة سبب ضلالها الأصلي أنهم يجهلون العربية.

إذا الآية فيها دلالة ظاهرة على أن الآحاد حجة، ومن لم يقل بحجية الآحاد هم المعتزلة، ولم يعرف عن أحد قبلهم أنهم ردوا الآحاد، والسبب الرد الرئيس أن عند المعتزلة اليقينيات القطعية. انتبه ما ثبت في العقل بيقين لا يمكن لأحاديث الآحاد، ولو كانت متفق عليها أن تُرد، وردد هذه القاعدة الرازي، وغضب شيخ الإسلام لما ذهب إلى مصر وناقشه، ووقفت على أسماء المناقشين لشيخ الإسلام في فتنته في مصر فوجدت أن الرازي جدهم أو في سلالة طلبهم للعلم، جدهم في العلم وليس في النسب.

فألف كتابه البديع درء تعارض العقل والنقل، هدم فيه تلك العبارة التي أصلها من المعتزلة أن العقل مقدم على النقل، والأصل في النقل أنه حجة قائمة برأسه، وإن جاء مع العقل فما قبل العقل ورد النقل إلا إبليس فكما كان ابن سيرين رَحِمَهُ اَللَّهُ تَعَالَى.

نعود إلى الآية التي معنا بعد أن قررنا أن العلم والجهاد فرض على الكفاية وقد يتعين، وأن العلم الدليل النقلي ولو كان آحادا فهو حجة، والأصل في العلاقة بين المجاهد والعلم التكامل لا التآكل. وما أجمل أن يؤلف طالب علم أن يجمع أخبار المحدثين المجاهدين. حتى نرد على أولئك الحزبيين الذين ينعقون ويقولون إنكم لستم بمجاهدين.

المجاهدون العلماء. العلماء قديما الذين كانوا يحرصون على سنة رسول الله صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى نشرها كانوا هم أحرص الناس على الجهاد في سبيل الله. فجمع الله لهم الخير من جميع جوانبه. القوة التصورية الذهنية وهي العلمية، والقوة البدنية كذلك عندهم شجاعة

ورباطة جحش وقوة قلب في جهاد الكافرين ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ يعني لو أن رجلا تأمل الآيات، وكيف أن الله اختار ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ قد يطرأ سؤال ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ وليعلموا قومهم، ما قال الله ليعلموا قومهم.

فاستبدال ليعلموا قومهم بـ ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ واستبدال لعلهم يفقهون بـ ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ إشارة عظيمة في أن القوم قلوبهم معلقة باليوم الآخر، إشارة عظيمة إلى أن المتفقهين طلبة العلم والمجاهدين إنما قلوبهم متعلقة باليوم الآخر فعملهم الإنذار.

المجاهد عمله الإنذار؟ نعم. طالب العلم عمله الإنذار. الإنذار من غضب الله، والإنذار من سخط الله، والإنذار من الشر الذي ينتظرهم إن تركوا الكافرين.

فكل من طالب العلم والمجاهد يعمل على الإنذار، ولعله يحذر غضب الله، ويحذر نار جهنم، وكل ما يجري في الساحة من مشاكل لا يمكن أن تحل إلا بأن يعلم صاحبها أنه سيموت، وأن الله سيحاسبه، وأنه سيمتثل بين يديه فمن تذكر أن الله سيحاسبه، وأنه سيموت أمسك لسانه، وما تكلم إلا بخير وما أخذ بلازم الأقوال.

أصبحنا نسمع عجبا، سمعت من بعض المشايخ غفر الله لي وله يقول أهل الأردن يدعمون حماس. هذا فهم أعوج، يفهم الإدانة ما يوجد قوم أصفى في العلاقة والتحذير من الحزبيين من شيخنا الألباني، ومن تلاميذه فما أدري كيف يفهم إنسان أنهم يدعمون حماس! نحن ندعم الذي يحارب اليهود، ونشفق ونحذر على إخواننا الذين يُقتلون في مجازر، ولا ندعو لحزبية.

من الأكاذيب والأراجيف قال درس فلان يوم الخميس في صحيح مسلم أصبحوا كلهم حزبيين. أعوذ بالله نحن أحياء إن أردتم أن تكذبوا فاكذبوا بعد وفاتنا فوالله ما علمت واحدا تأثر بالحزبيين.

لا نحب الحزبيين، ولو أن الحزبيين شاورونا في قتالهم ما أشرنا عليهم بالقتال، لكن المعركة قائمة بين يهودي وبين مسلم، أنا مع المسلم ضد اليهودي، وعملنا في غير هذا الميدان محاربة الحزبيين. كان شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّه يقول في وقت قتال الكافر مع المسلم نحن ضد الكفار، ومع المسلم كيفما كان حاله، ولما تنتهي هذه المسألة نرجع إلى قواعدنا، ولا عمل لنا إلا أن نقوم الناس وأن نجعلهم يتركون التحزب والتمذهب، وأن يبقوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في أثناء القتال نحن مع المسلم هذا الذي أوجبه الله علينا.

فالشاهد لو أننا تأملنا الآية لعله يخطر ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ لعلهم يتفقهون؟ لا ذكر الحذر، وفي هذا إشارة واضحة، وصرح اللهتَعَالَىبها أظن في سورة فاطر لما قال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور﴾ [فاطر:28] كلما ازداد الإنسان علما ازداد خشية، العالم الذي يخشى الله. العلم خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العالم الذي يُنذِر ويحذر، يعلم أنه سيموت وأن هنالك حساب وسؤال وجواب.

الآية فيها كثير من الأحكام.. فيها فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين فالصحابة كانوا يتعلمون ويعلمون المسائل العملية، وكل مسألة لا ينبني عليها عمل لا ينشغلون بها.

لما أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أيام الدجال منها يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة سألوا قالوا كيف نصلي يا رسول الله؟ سؤال في

العمل، الفقه فقه عمل يتقون الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ سؤال عن العمل لذا قال ابن عباس كما ثبت الطبراني قال ما سأل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله إلا أربعة عشر مسألة. وفي مسند أحمد يقول بعض الصحابة كنا نلتقي الأعراب فنخرج من المدينة ونلقاهم ونُرشِيهم ثوبا ليسألوا رسول الله عن كذا وكذا. أعطيه ثوب أُرشيه، سل رسول الله كذا وكذا، كانوا قوم عمل ما هم أهل جدل فهذا ينطبق تماما عليهم ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الآية فيها فضل العلم وخصوصا الفقه العملي في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنه من أهم الأمور، وفي الآية إشارة إلى أن من تعلم فعليه نشره، وبثه في العباد ونصيحتهم وعدم التواني والكسل في ذلك. تبقى دائما كأنك منذر، دائما قائم تراقب تنصح تنصر دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ودلت الآية أن المقصود من التفقه في الدين، دعوة الخلق إلى الحق وإرشادهم إلى دين الله عَزَّوَجَلَّ القويم، والصراط المستقيم. هؤلاء المتخصصين بهذه النية لا يقلون في الدفاع عن دين الله، وملة الإسلام عن المجاهدين في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كيف لا وهل أجور الغزاة والمجاهدين إلا في صحيفة العلماء؟ وهل أجور العُبَّاد إلا في صحيفة العلماء؟ فالعلماء هم ورثة الأنبياء.

فالعالم يدفع الشبه، والذي يدفع الشبه قليل والذي يدفع السهام في نحور الأعداء كثير.

فالعالم أفضل من المجاهد، ولا سيما إن كان هذا العالم عالما ربانيا مترفعا عن الدنيا ومطامعها، وعن الأعراض والأغراض والمكاسب والمناصب وما شابه.

فهذا هو العالم الرباني الذي يعمل على نشر دين الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه بعض الأحكام المأخوذة من هذه الآية.

نأتي بالآية التي بعدها يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ إرشادا لمن يباشر القتال، وما ينبغي أن ينفروا كافة أرشدهم إلى أن الواجب عليهم في الجهاد البدء بالأقرب فالأقرب من الكفار ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ الأقرب فالأقرب ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ قاتلوهم وأظهروا الغلظة والشدة في القتال، وهذا تحصيل حاصل يدل على الثبات والشجاعة.

فالأصل في القتال أن يكون الأقرب فالأقرب، والمراد بالأقرب قرب الديار إذا أردنا أن ننشر دين الله عَزَّوَجَلَّ الأصل أن نبدأ بالكافر المجاور لقوله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أيقنوا أن الله معكم بالنصر على أعدائكم أن اتقيتم، وكيف تكون التقوى؟ بامتثال الأوامر، وكذلك تقوى الله عَزَّوَجَلَّ في الجهاد أن يكون الجهاد على علم.

الله ذكر النصر بقوله ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:7] هذه آية كثير من الناس يرددها، وتحتاج إلى وقفة يسيرة ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ إن تنصروا

الله في قيامكم بالفرائض العينية، وإن تنصروا الله بقيامكم بالفرائض الكفائية لابد أن ينصركم الله بعد أن تبتعدوا عن المعاصي.

والبعد عن المعاصي، المعاصي درجات وأولى ما يجب البعد عنه في معصية الله موالاة الكفار، وسيأتينا هذا واضحا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى في الآيات التي بعد هذه الآية.

الابتداء بالغزو ينبغي أن يكون في المواضع القريبة وهذا أولى، والأولى للمقاتلين كما أنهم ما ينبغي أن ينفروا كافة للقتال كذلك ينبغي إلا ينفروا للقتال في الأماكن البعيدة، وإنما يبدأون بقتال الكفار المجاورين، وهذا أولى من وجوه عديدة.

الوجه الأول أن مقابلة الجميع دفعة واحدة أمر متعذر، لا يمكن للمسلمين أن يقاتلوا الجميع مرة واحدة فلابد أن يكون القتال لفرقة منهم، لجماعة منهم. من هم أولى الناس بأن نقاتلهم؟ من كانوا قريبين منا. فتساوى الكل في وجوب القتال لعلة المحاربة والكفر، فلابد أن نبدأ بقوم دون آخرين، ولابد لنا من مرجح، والمرجح المعتبر في مثل هذه الحال القرب.

لا نستطيع أن نقاتلهم مرة واحدة، والعلة في الكفر والمعاداة موجودة في الجميع فإن اخترنا قوما دون غيرهم لابد من الترجيح. المرجِح أنهم قريبون منا.

هل القرب مرجح عام؟ نعم مرجح فيه أشياء كثيرة، مرجح في الدعوة إلى الله.

الله قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214] بعض الناس يترك أهله ضائعين أين تذهب؟ قال للهند والباكستان. أقم دين الله في بيتك.

الله يقول ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الأصل أن تبدأ بالأقرب، ما تنشغل بالبعيد.

الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ لا سيما لما يعتدي الأعداء على دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأصل رد الصائل، ورد العدو يبدأ بأهل البلدة فإذا تعثر على أهل البلدة يتسع إلى من بجوارهم.

يعني إثم المسلم الذي يعيش في المغرب -في شأن غزة- ليس كإثم المسلم الذي يعيش في مصر، أو كالذي يعيش في الأردن. إثم المصري، وإثم الأردني بشأن غزة أشد وأعظم عند الله من الذي يعيش في المغرب.

الواجب على أهل مصر أن يردوا اليهود عن المسلمين في غزة. إلا إذا سمعنا -ما أدري لعل بعضهم يحوز في قلبي أنه لا أهل غزة الله لا يردهم- نسأل الله العافية.

جاءتني مكالمة اليوم قال يا شيخ المسلمين يتقتلوا، وتقتلوا في الشيشان، وتقتلوا في البوسنة والهرسك، وتقتلوا في البورما، لم نحن نتعب أنفسنا؟! أعوذ بالله. لو هذا الشعور كان عندك في وقت تقييم المسلمين فأنت على خطر عظيم.

هذه المجازر قائمة، لو كان هذا شعورك عند وقوع تلك المجازر، لنكت على خطر. ثم نحن مجاورون. إذا كان الله قال لنا في الجهاد كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في الآية ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ فنحن الذين نلي، ثم القتال ليس قتالا يستغرق ما يراد في ظاهره الآن، الخطر في الأقصى خطر على بيت الله الحرام، وعلى مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يفرط في الأقصى يفرط في بيت الله الحرام، ويفرط في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النبي أخبرنا في سنن أبي داوود بإسناد صحيح أن آخر مسارح المسلمين في (سلح). عند الياقوت الحموي في البلدان قال (سلح) مدينة بعد خيبر وقبل المدينة. قبل المدينة النبوية فهذا يكون آخر مرقبة للمسلمين، ومن قبل سلح يكون في أيدي غير المسلمين، وهذا أمر خطير جدا.

النبي حدد القرية قال آخر مسالح المسلمين -مسالح أو مسالخ- والسلح المرقبة، المدينة التي تكون على الحدود، آخرها سلح.

الأمر خطير، والقوم اليهود، هؤلاء اليهود ليس اعتداء كما حصل في بلدة كذا أو بلدة كذا، اليهود يخططون والعجب الذي لا ينتهي العجب منه أن اليهود يخططون لا أقول بخفاء يخططون على المكشوف. جولدا مائير تقول أنا أشم رائحة أجدادي من خيبر. لهم مطمع في خيبر، لهم مقابر كبيرة.

فأمر اليهود أمر ليس سهلا كأن تقول والله أنا أعتبر القتال اليهود قتال أهل غزة، والتي تقع فيها عدة مجازر في اليوم الواحد مثل ما حصل هذه مصيبة إذا وصل هذا الإحساس إلى المسلم، ولم يبكي في خلوته، وأن يتحسر على ما يجري في إخوانه.

هم مسلمون وهم إخواننا فعجب والله إن العجب لا ينتهي.

الخلاصة: الله يقول ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ فالقرب له أثر، في دفع العدو، وله أثر في بدء الغزو فإذا أردنا أن نقاتل قال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ وقلنا البدء يكون الجهاد مستحيل دفعة واحدة لابد أن يكون الأقرب. العلة مستوية في القريب والبعيد في مرجح والمرجح القرآن.

الأمر الثاني الابتداء بالأقرب أولى؛ لأن النفقات فيمن تريد أن تقاتل وهو قريب منك أقل من النفقات البعيدة والحاجات للدواب وإلى الآلات والأدوات أقل من الجهاد بالمكان البعيد.

الأمر الثالث الفرقة المجاهدة إذا تجاوزوا من الأقرب إلى الأبعد فقد عرضوا ذراريهم للفتنة، والواجب الحفاظ على الذراري، ولذا كره كثير من السلف في الثغور أن تكون معك الذرية.

لما كانوا يرابطون كان يرابطون دون ذريتهم، ودون أزواجهم.

الأمر الرابع أن المجاورين لديار الإسلام، أما أن يكونوا أقوياء أو ضعفاء فإن كانوا أقوياء كان تعرضهم لديار الإسلام أشد وأكثر من تعرض الكفار البعيدين، والشر الأقوى الأكثر أولى بدفعه فإن كانوا ضعفاء فأن تتوسع توسعا طبيعيا، وأن تتدرج في نشر دين الله أحسن من أن تذهب إلى مكان بعيد. سواء كانوا أقوياء أو ضعفاء فالقريب مقدم في القتال على غيره.

الأمر الخامس أنا وقوف الإنسان على حال من يقرب منه أسهل من وقوفه على حال من يبعد منه. فاقتدار المسلمين على مقاتلة الأقربين أسهل لعلمهم بكيفية أحوالهم، وبمقادير أسلحتهم وعدد وعساكرهم، وما شابه.

دار الإسلام واسعة فإذا اشتغل أهل كل بلد بقتال من يقرب منهم من الكفار كانت المؤنة أسهل، وحصول المقصود أيسر.

إذا الآية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ الأصل في القتال أن يكون الأقرب، وهذا الذي فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في أواخر حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهب إلى حوالي مكة، الطائف. غزوة الطائف ثم في المدينة بعد أن أجلى اليهود وقاتلهم في خيبر فكان من آخر الغزوات التي كانت في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوة تبوك.

غزوة تبوك هي قريبة من المدينة، وبينها وبين المدينة خيبر وسبق فتح خيبر.

فالأدلة النظرية والأوامر الربانية مع ربطها بالحوادث التي ثبتت في السيرة النبوية تدل على أن الأصل أن قتال أن يكون الأقرب فالأقرب ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[التوبة:123] إشارة وفيها تنبيه على أنه لا يجوز الاقتصار على الغلظة الخالصة فقط، فإن الغلظة الخالصة ينفر ويوجب تفرق القوم لذا قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ وفي هذا كأن الله تَعَالَى يقول لو أنكم فتشتم عن هؤلاء القوم، وسبرتم أخلاقهم وطبائعهم لوجدوا فيكم غلظة، وكذلك وجدوا فيكم رحمة ورأفة، والآية ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ الغلظة موجودة مع وجود تلبسهم بالكفر فإن أقلعوا عن الكفر فوجدت الرحمة، ونحن نمارس الغلظة أمرنا أن نحسن القتلة، وأن نكون من المحسنين ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ في الآية تعريض بالتهديد للمنافقين، وأن المؤمنين عندهم حرص وغيرة على دينهم، وكذلك العجيب بالآية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ غلظة منكرة. كيف تكون الغلظة، وكيف تحدد؟ وتحدد على وجه التهديد لهم وللمنافقين؟ هذه متروكة لقادة الجيش، ولأولياء الأمور هم الذين يحددون كيف تظهر هذه الغلظة، وهذا معنى التنكير.

فالتنكير تشمل صور كثيرة، وقد تكون بعض الصور في بعض الأوقات في بعض المناسبات والملابسات مناسبة، وقد تكون صور أخرى في مقام آخر يناسب شيء آخر.

فتحديد الغلظة هو مبدأ، والذين يديرون الخطط العسكرية في قتال الكفار، وعلى رأسهم قائد الجيش ومن يقوم مقامه هم الذين يحددون ذلك.

الخطاب في الآية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولم يقل الخطاب يا أيها النبي. كأن في الآية إيماء إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يغزو بعد هذه المرة، وأن أجله قد اقترب، ولذا قال الله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ كأن في الآية إيماء

إلى التثنية على فَقْد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن الله معهم، وإن التحق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفيق الأعلى.

فالله هو ناصرهم، والله عَزَّ وَجَلَّ مع المتقين أينما كانوا.

هذه بعض اللفتات، وبعض الفوائد من هذه الآية، وبهذه الآية نقول قد انتهينا من الكلام على آيات الأحكام في سورة التوبة.

هنالك آية اختارها الإخوان من سورة هود نتعرض لها إن شاء الله في درسنا القادم، أكتفي بهذا المقدار.

والله تَعَالَى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.